

الفصل الأول

نظرة تاريخية واقتصادية

من بابل الى وول ستريت :

منذ العهود القديمة بحث الإنسان عن الثروة من أجل تنمية وتطوير تجارته . بين دجلة والفرات نمت أول عمليات شبه مصرفية سمحت بإقراض التجار ونشر التجارة بين حضارة بابل القديمة وجميع أنحاء العالم القديم . فى هذه العصور البعيدة ، كان على " المصارعين والرياضيين " اليونانيين الذين اتقنوا المهنة البحرية والتجارية ، أن يمارسوا عمليات " الصرف " و " إدارة الحسابات " وإيداع الأموال بمعابد "Appolou" و "Delos" . ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد عرف الإنسان عمليات تمويل الاستكشافات والحملة البحرية.

وقد شهدت روما القديمة بدايات " شركات الأموال " التى كونها الفرسان لإنشاء المعابد وتعبيد الطرق . وعقب انهيار الإمبراطورية الرومانية ، كان لابد من انتظار منتصف العصور الوسطى لى تشهد إيطاليا وبالتحديد فى "فينيس" مزيداً من التطور فى العمليات المالية والتجارية والذى تمثل فى ظهور عقود المشاركة فى تمويل الحملات التجارية عبر البحار . هذا التطور والتوسع المستمر فى الأنشطة التجارية حتم وجود مركز أو سوق دائم لتتم فيه الأعمال . أنهم الإيطاليون أيضا الذين قاموا بتأسيس أول سوق مالى أطلق عليه "البورصة" وقد اشتق هذا الاسم عن تاجر إيطالي غنى كان يسمى " فان دين بورص " Van den Burse وكان يملك فندقاً فى مدينة " بريج " البلجيكية وكان ملتقى التجار فى القرن الخامس عشر لإنتمام العمليات التجارية . غير أن ما ميز هذا السوق الجديد فى الواقع هو أن " البضائع " لم تعد ممثلة مادياً فيه ، بل استبدلت " بالتزام " البائع نحو المشتري فى تسليمه البضاعة فى تاريخ محدد وبسعر ومكان متفق عليهما ، وهو ما اعتبر فى الواقع بدايات ظهور الأسواق الآجلة.

ومع بدايات القرن السادس عشر ، مع الاستكشافات البرتغالية والسيطرة الأسبانية ، أصبحت بورصة " أنفرس " Anvers البلجيكية مركز المعاملات التجارية والمالية فى أوروبا .

وقد سجل التاريخ بورصات هامة للبضائع . فبالإضافة إلى بورصة أنفيس ، ظهرت بورصة بال عام ١٦٨٣ ، وفي لندن عام ١٦٩٥ ، وفي القرن الثامن عشر بمدينة فيينا (عام ١٧٦٢) ، وفي نيويورك عام ١٧٩٢ ، وفي القرن التاسع عشر في بروكسل (عام ١٨٠١) ، وفي ميلانو عام ١٨٠٨ ، وروما عام ١٨٢٢ ثم في مدريد عام ١٨٣١ وجنيف عام ١٨٥٠ .

وبانتشار الشركات المساهمة ، وإقبال الحكومات على الاقتراض ، وجدت حركة قوية للتعامل بالصكوك المالية ، وظهرت بالتالي بورصات الأوراق المالية بجانب بورصات البضائع . وكان التعامل بالصكوك في مبدأ الأمر يجرى على قارة الطريق في الدول الكبرى كفرنسا وإنجلترا وأمريكا ، ثم استقر بعد ذلك في أبنية خاصة . ففي فرنسا ظهرت أول بورصة للأوراق المالية عام ١٧٢٤ بموجب الأمر الملكي المؤرخ ٢٤ سبتمبر ١٧٢٤ (والذي حرم في نفس الوقت دخول المرأة مبنى البورصة لأي سبب كان !). وفي إنجلترا استقرت أعمال بورصات الأوراق المالية في أوائل القرن التاسع عشر في بناء خاص سمي Royal Exchange ، بعد أن كانت الأعمال تجرى في الطرقات والمقاهي . وفي أمريكا لم تستقر أعمال البورصات في بناء خاص إلا في أوائل القرن التاسع عشر في عام ١٨٢١ ، وفي نفس الشارع الذي كانت تجرى فيه هذه الأعمال : وول ستريت .

البورصات الدولية :

يمكن أن نطلق " مصطلح " البورصات الدولية على نوعين من البورصات . بورصات الدول الصناعية المتقدمة ، وبورصات الدول الصناعية الجديدة Emerging Markets . وفي تقسيم آخر ، يمكننا أن نميز بين ثلاثة مناطق جغرافية :

- البورصات الأمريكية .
- البورصات الأوروبية .
- البورصات الآسيوية .

ولقيام سوق فعال للأوراق المالية في بلد ما ، يفترض توافر شروط معينة : اقتصاد منتعش ، سياسية اقتصادية رشيدة ، أوضاع سياسية ، اقتصادية اجتماعية ، قانونية وضريبية مستقرة ، وفره

المدخرات أو الثروات الفردية والجماعية ، هيكل متكامل من البنوك والمؤسسات المالية التي تستخدم أساليب فنية متقدمة ، فضلا عن توافر كوادرن فنية متخصصة .

ومن الناحية العملية ، يمكننا تلخيص تلك الشروط كمايلي :

- ١- مناخ استثماري مستقر في إطار توزيع عادل للثروات .
- ٢- وعى اقتصادي ومالي ، وهو الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام العامة، الصحافة العامة والصحافة المالية المتخصصة في أسواق المال .
- ٣- نوادي الاستثمار التي تساعد على نشر الوعي الاقتصادي والمالي وميكانيزم عمل البورصات .
- ٤- أدوات تقليدية ومستحدثة (أسهم ، سندات ، صناديق استثمار ، عقود مستقبلية وخيارات ..) خاصة الأدوات المناسبة لسنوى الدخول المحدودة.
- ٥- مكاتب متخصصة في الإدارة الحديثة لمحافظ الأوراق المالية .
- ٦- الانفتاح على الأسواق الدولية ، وهو ما يرتبط بتكنولوجيا اتصالات متقدمة من ناحية ، مع مواكبة للمخرجات الحديثة في تلك الأسواق من ناحية أخرى .